عاشِقٌ مُحارِب

[الطويل]

أمِن منزلٍ قَفرٍ تعفّتْ رسومَهُ
شَمالٌ تُغاديهِ، ونَكباءُ حَرجَفُ[١]

فأصبحَ قفراً، بعدما كان آهِلاً،
وجُمْلُ المُنى تَشتُو به وتُصيّفُ[٢]

ظللتُ، ومُستَنٌّ من الدمع هامِلٌ
من العين، لمّا عُجتُ بالدارِ، يَنزِفُ[٣]

أمُنصِفَتي جُمْلٌ، فتَعدِلَ بيننا،
إذا حكَمَتْ، والحاكمُ العَدلُ يُنصِفُ

تَعلّقتُها، والجسمُ مني مُصَحَّحٌ،
فما زال ينمي حُبُّ جُملٍ، وأضعُفُ

إلى اليوم، حتى سلّ جسمي وشَفّني،
وأنكرتُ من نفسي الذي كنت أعرِفُ

---

(١) قفر: غير مأهولٍ ـ تعفّت رسُومه: زالت معالمه. شمال تُغاديه: ريح الشمال تَضْربه غُدُوّاً. ونكباءُ حرجف: وريحُ أُخرى غير مستقرَّة كأنها الزّوْبعة، شديدة البرودة والهبوب.
ورد أربعة عشر بيتاً متوالياً من القصيدة في الأغاني ٨: ١١٧ـ ١١٨.

(٢) جُمْل: كناية عن بثينة.

(٣) مُسْتَنٌّ من الدَّمع: مُنصبٌّ؛ عُجْتُ بالدار: جئْتُها وطفْتُ بها.

قَـنـاةٌ مـن الـمُـرّان مـا فـوقَ حَـقـوِهـا،
ومـا تـحـتَـه مـنـهـا نَـقـاً يـتـقـصّـفُ[١]

لـهـا مُـقْـلـتـا ريـمٍ، وجِـيـدُ جِـدايَـةٍ،
وكـشـحٌ كـطـيّ الـسـابـريّـة أهـيَـفُ[٢]

ولـسـتُ بـنـاسٍ أهـلَـهـا، حـيـن أقـبـلـوا،
وجـالـوا عـلـيـنـا بـالـسُّـيـوفِ، وطَـوّفـوا

وقـالـوا: جـمـيـلٌ بـات فـي الـحـيّ عـنـدهـا،
وقـد جَـرّدوا أسـيـافَـهُـم ثـمّ وقـفـوا

وفـي الـبـيـتِ لـيْـثُ الـغـاب، لـولا مـخـافـةٌ
عـلـى نـفـس جُـمـلٍ، والإلٰـهِ، لأُرعِـفـوا[٣]

هـمَـمـتُ، وقـد كـادت مِـراراً تـطـلّـعـتْ،
إلـى حـربـهـم، نـفـسـي، وفـي الـكـفّ مُـرهَـفُ

ومـا سـرّنـي غـيـرُ الـذي كـان مـنـهـمُ
ومـنـي، وقـد جـاؤوا إلـيّ وأوجـفـوا[٤]

فـكـم مُـرتَـجٍ أمـراً أُتـيـحَ لـه الـرَّدى،
ومـن خـائـفٍ لـم يَـنـتـقِـصْـهُ الـتَّـخـوّفُ

---

(١) قناة من المرّان: رُمْحٌ لَدِنٌ ليِّن [يَعْني قامة بثينة]، فَوْق حقوها: مَعقد إزارها عند الخَصْر، (نَقاً يتقصّف): رِدْفيْها كأنهما كثيب من الرمل تلعب به الريح، فيرتجّ.

(٢) جداية: ظبية ـ السابريّة: الثياب الرقيقة.

(٣) أُرْعِفُوا: تنادَوْا للقتال سراعاً متسابقين.

(٤) أوْجَفُوا: بالغُوا في السُّرعة.

أإن هَتَفَتْ وَرقاءُ ظِلتَ، سَفَاهَةً،
تُبكّي، على جُملٍ، لورقاءَ تَهتِفُ[١]؟

فلو كان لي بالصّرم، يا صاحِ، طاقةٌ،
صَرَمتُ، ولكنني عن الصَّرمِ أضعُفُ

لها في سَوادِ القلب بالحبِّ مَنعةٌ،
هي الموت، أو كادت على الموت تُشرِفُ[٢]

وما ذكَرتْكِ النفسُ، يا بَثنَ، مَرّةً
من الدهر، إلّا كادت النفسُ تُتلَفُ

وإلّا اعترتني زَفرةٌ واستكانَةٌ
وجادَ لها سَجْلٌ من الدمع يَذرف[٣]

وما استَطرفَتْ نفسي حديثاً لخُلّةٍ،
أُسَرّ به، إلّا حديثُكِ أطرَفُ

وبين الصّفا والمَرْوَتَينِ ذكرتُكم
بمختلفٍ، والناسُ ساعٍ ومُوجِفُ[٤]

وعند طَوافي قد ذكرتُكِ مَرّةً،
هي الموتُ، بل كادت على الموت تضعَفُ[٥]

---

(١) الورقاء: الحمامة.
(٢) وردت الأبيات الثلاثة المتوالية في الأغاني ٨: ١١٧.
(٣) سَجْلٌ: الدّلو الكبيرة المملوءة ماءً.
(٤) الصفا والمرْوة: [من شعائر اللّه] صَخرتان عظيمتان بينهما يكونُ سَعْيُ الحاجّ. مُوجِف: مُسرع.
(٥) تَضعف: تزيد وتكثر.